

تقديم

ولد سانت جون فيلبي في مزرعة شاي في سيلان في الثالث من شهر ابريل من عام ١٨٨٥م وتوفي في بيروت في الثلاثين من شهر سبتمبر من عام ١٩٦٠م. لقد شكلت الخمسة والسبعين عاماً التي تخللت هذين التاريخين واحدة من ابرز السير الشرق اوسطية .

زار فيلبي لأول مرة ما يسمى الآن المملكة العربية السعودية خلال الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٧م في بعثة دبلوماسية من السير بيرسي كوكس ، مندوب الادارة المدنية البريطاني في العراق ، لعبدالعزیز ابن سعود ، حاكم نجد والاحساء في حينه . حتى خلال هذه الزيارة وجد فيلبي ان بإمكانه ممارسة غريزته الاستكشافية ، فجمع كثيراً من المواد التي في اخر الأمر نشرها في كتاب " قلب الجزيرة العربية " في عام ١٩٢٣م وكتاب " جزيرة العرب في عهد الوهابيين " في عام ١٩٢٨ . ان شعوره تجاه الجزيرة العربية واحترامه الكبير لعبدالعزیز كانت الى الحد الذي جعله يعود ويتخذ من الجزيرة العربية موطناً له منذ عام ١٩٢٧م وحتى وفاته . خلال السنوات التي تخللت هذه الفترة عبر فيلبي المملكة العربية السعودية من شمالها الى جنوبها ومن شرقها الى غربها وتعلم ليعرف العربي - عاداته ودينه وفلسفته - من الملك الى البدوي . لقد تعلم بسرعة كيف يحب المملكة العربية السعودية .

لقد كان فيلبي ، من خلال طاقته التي لا حدود لها وقوة قدراته على الملاحظة ، قادراً على مشاهدة ومعرفة هذا القطر الى الدرجة التي لا أحد

من الغربيين قد فعلها . ونظراً لرغبته في تعريف العالم بالجزيرة العربية ، فقد تابع رحلاته وملاحظاته بكتابة عدد من الكتب . كانت غالبية كتبه جغرافية ، تاريخية ، وسيرة ذاتية .

بعد سنوات عديدة من انجاز فيلبي لكتبه استخدم الجيولوجيون التابعين لشركة ارامكو في بحثهم عن النفط هذه الكتب المبكرة لفيلبي بشكل يومي وكذلك وصفه لعبوره صحراء الربع الخالي (الربع الخالي ، ١٩٣٣م) . ولم يتوقف الأخصائيون الفنيون الامريكيون للحظة من الاندهاش من طاقته التي لا حد لها وحدة ودقة قدراته على الملاحظة والمعبر عنها في هذه الاعمال . لقد صمدت خرائطة التي رسمها عند الاستعمال ، ورغم بعض التفاصيل التي عدلت مع الوقت ، فإن المعلومات الاساسية التي جمعها وضعت مع قليل من التغيير على احدث الخرائط التي رسمت من خلال التصوير الجوي .

لقد كان فيلبي مولع بقول ان الطريقة المثلى لرؤية بلد ما هي السير على الاقدام او على ظهر جمل ، وكانت هذه هي الطريقة التي استخدمها في جميع رحلاته المبكرة . ان معظم الذين جاءوا من بعده لم يكن لديهم لا الصبر ولا الدأب للإستمرار من خلال هذه الطريقة البطيئة . كما ان فيلبي يحب ان يقول ان مشكلة الصور الجوية هي انها لا تحمل ملصقات تبين الاسماء العربية للمعالم الطبوغرافية . في المقابل ، فإن الخرائط والرسومات للمناطق التي زارها تحتوي على غزارة في الاسماء التي تشكل واحدة من اهم المساهمات التي قدمها للمنقبين ودارسي الجغرافيا .

ان بعض مخطوطات فيلبي بقيت تبحت عن ناشر لسنوات . واحدة من

هذه المخطوطات كانت عمله الرائد عن جنوب غرب المملكة العربية السعودية ، والذي نشرته دار نشر جامعة كورنيل تحت عنوان " نَجُود عربية (شمخ دضخف فخص شصرع خففر) " لحساب معهد الشرق الاوسط في عام ١٩٥٢م . ورغم حقيقة ان حجم هذا الكتاب كان وحده كفيل بتخويف ناشرين عديدين ، الا انه جذب الاهتمام بشكل واسع مما جعله من الكتب النادرة اليوم . ان نشر هذا الكتاب الذي بين ايدينا الآن هو اخر حدث خلال حياة فيلبي في علاقته مع معهد الشرق الاوسط ، التي كانت دائماً ودية عبر السنين كماهي الحال في علاقته مع ارامكو •

ان هذا الكتاب يختلف بعض الشيء في طبيعته عن اعمال فيلبي الاخرى . انها رواية فيلبي لثلاثة فصول من قصة النفط في المملكة العربية السعودية - الفصلين الأولين عن الجهود المهدورة لتحديد مكان النفط ، والثالث عن مفاوضات ١٩٣٣م ، والتي أخذ فيها فيلبي دور بارز ، وفي نهاية المطاف قادت الى اكتشاف نفط المملكة العربية السعودية . هذا الاكتشاف ، طبيعياً ، كان له الأثر العميق في التاريخ الحديث للمملكة العربية السعودية وساهم في زيادة الاهتمام الخارجي في ذلك القطر •

كما يذكر فيلبي ، وصل لويد هاملتون و كارل س . توتشل ، بصفتهم ممثلين لشركة (ستاندرد اويل كومبني اوف كاليفورنيا) الى مدينة جدة في الخامس عشر من شهر فبراير من عام ١٩٣٣م ، بغرض مفاوضة حكومة المملكة العربية السعودية للحصول على اتفاقية امتياز نفطية . ان اكتشاف النفط بكميات تجارية في عام ١٩٣٢م ، بواسطة شركة فرعية تابعة لشركة (ستاندرد اويل كاليفورنيا) في جزيرة البحرين في الخليج ، والتي تبعد

عشرين ميلاً عن الشاطئ الشرقي للمملكة العربية السعودية ، كان هو الحدث الذي قاد لهذه الزيارة .

ومهما يكن من أمر ، ولأجل التاريخ ، ربما يجب ان اشير الى ان اهتمام شركة ستاندرد اوف كاليفورنيا في المملكة العربية السعودية كان قبل اكتشاف النفط في البحرين بوقت طويل . ففي ربيع عام ١٩٣٠م ارسلت الشركة مندوبين اثنين الى البحرين لدراسة امكانياتها النفطية وكتابة تقرير عنها . لقد كنت شخصيا واحداً منهما . منذ اليوم الاول الذي وطئت به اقدامنا ارض البحرين كانت لدينا الرغبة القوية لفحص جيولوجية الارض في البر الرئيسي في المملكة العربية السعودية ، ليس فقط لتأثير ذلك على ما الذي يمكن توقعه تحت سطح ارض البحرين ولكن ايضا لما كان يعتقد بإمكانيات وجود النفط في المنطقة الكبيرة والواسعة في البر الرئيسي . لقد طلبت الشركة من الميجور فرانك هولمز ، الذي تعاملت الشركة معه في عملية تقديمها الى البحرين ، والذي يحتل مكاناً بارزاً في هذا الكتاب ، تنظيم زيارة الى المملكة العربية السعودية ، ولكن لم يتم شيء بهذه الطريقة . بعد اكتشاف النفط في البحرين في الشهر السادس من عام ١٩٣٢م ، قطعت الشركة علاقاتها مع الميجور هولمز واتصلت بحكومة المملكة العربية السعودية من خلال فيلبي حيث كانت هناك نتائج ناجحة معروضة في هذا الكتاب .

كما سيعرف القارئ ، فإن هاملتون وبمساعدة قيمة من فيلبي و كارل توتشل توصلوا الى اتفاقية مع الحكومة السعودية بعد مفاوضات ناجحة ، وقعت هذه الاتفاقية في التاسع والعشرين من شهر مايو من عام ١٩٣٣م .

بناء على هذه الاتفاقية تأسست شركة " ذا كاليفورنيا اراين ستاندرد اويل كومبني " كشركة فرعية للشركة الأم " ستاندرد اويل كومبني اوف كاليفورنيا " - انضم اليها لاحقاً شركة " تكساكو " وشركة " ستاندرد اويل كومبني (نيوجيرسي) وشركة " سوكوني موبيل اويل كومبني " - التي طورت ولازالت تطور الاحتياطات البترولية الهائلة في المملكة العربية السعودية . في عام ١٩٤٤م تم تغيير اسم الشركة من " كاليفورنيا اراين ستاندرد اويل كومبني " الى " اراين امريكان اويل كومبني - الشركة العربية الامريكية للزيت " ، والتي هي معروفة الآن بأسم ارامكو .

ان رواية فيلبي كما وضعها ، تنتهي مع وصول اول الجيولوجيين الى السعودية ، بعد عدة شهور من توقيع الاتفاقية . لقد لفتت نظرنا - ونحن في البحرين - السمة الطبوغرافية لقبة الدمام ، التي أُستكشفت ورُسمت لها خريطة بنفس الوقت . اول بئر نفطية حفرت في شهر ابريل ١٩٣٥م حيث وجد بعض النفط وعلى نفس العمق الذي كان منتجاً في البحرين وهو عمق ٣٢٠٠ قدم تقريباً ولكن فقط بكميات غير مشجعة .

بعد حفر عدة آبار في هذه المنطقة ، اتخذ قرار بالحفر الى عمق اكثر . في الخامس من شهر مارس ، ١٩٣٨م ، وجد النفط بكميات كبيرة في المنطقة المسماة " المنطقة العربية " وعلى عمق ٤٧٠٠ قدم . لقد كُشف الغطاء ! وبدأ ارسال شحنات منه الى المصفاة في البحرين بعد ستة شهور . مدد انبوب نفطي الى راس تنورة وشحنت اول حاملة نفط في شهر مايو ، ١٩٣٩م . لقد كان الملك عبدالعزيز بنفسه موجوداً في الحفل ، وبفرح فتح الصمام الى انبوب شحن الناقله .

استمرت الأعمال الجيولوجية وتم تحديد مواقع مناطق اخرى مشابهة .
لقد اُكتشف حقل ابو حدرية وكذلك حقل اكبر هو حقل بقيق في عام ١٩٤٠ م . لقد ارتفع الانتاج من ١٣٥٧ برميل يومياً عام ١٩٣٨ م الى ١٣, ٨٦٦ برميل يومياً عام ١٩٤٠ . بعد ذلك جاءت الحرب العالمية الثانية مما تسبب في تقليص عمليات الانتاج . ولكن تم تشييد مصفاة للنفط ذات قدرة ٥٠, ٠٠٠ برميل في اليوم في راس تنورة خلال المراحل الاخيرة من الحرب وبدأت العمل في شهر سبتمبر ، ١٩٤٥ م .

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، ازدهرت وانتشرت عمليات الكشف والتطوير . لقد تم اكتشاف عشرة حقول منفصلة عن بعضها البعض حقل غوار العملاق وطوله يقارب ١٥٠ ميل ، كذلك حقل السفانية ، اضخم حقل بحري في العالم . كان مستوى الانتاج يتم بمعدل ٥٨, ٣٨٦ برميل يومياً خلال سنة انتهاء الحرب ١٩٤٥ ، ثم وصلت الى ٥٤٦, ٠٠٠ برميل يومياً عام ١٩٥٠ م وقد وصلت الى ١٤٠, ٢٤٧ برميل يومياً عام ١٩٦٠ م . لقد تم انتاج اكثر من اربعة بلايين برميل من الحقول البترولية السعودية حتى الآن ، والاحتياط النفطي المؤكد اكبر من احتياطي جميع الولايات المتحدة الامريكية . اما مصفاة النفط فقد تم توسيعها عدة مرات ، وكذلك مدد انبوب تحت البحر الى البحرين ، كما مدد خط انابيب الترانزيت الى مدينة صيدا على البحر الابيض المتوسط وبطاقة ٤٧٠, ٠٠٠ برميل يومياً .

لقد كانت مغامرة تطوير المصادر النفطية للمملكة العربية السعودية مغامرة مرضية وناجحة للحكومة السعودية وللشركة . ان الحكومة توظف

الآن نسبة عالية من الدخل لجميع انواع التطويرات - المدارس ، المستشفيات ، الطرق ، سكة الحديد ، الزراعة ، ومشاريع اخرى لا تحصى . والشركة توظف مايقارب من ١١٠٠٠ مواطن سعودي عند نهاية عام ١٩٦٠م ، كما اوجدت وحافظت على برنامج لتدريب السعوديين في الداخل والخارج مما ادى الى وجود اعداد كبيرة تحتل مواقع المسؤولية في شركة ارامكو . بالاضافة الى ذلك فعدد من هؤلاء الذين تلقوا تدريباتهم يشغلون الآن مسؤوليات كبيرة في قطاعات الصناعة الاخرى في المملكة العربية السعودية . لقد تم ايجاد نظام صحي قائم ومستمر لعدة سنين ونتائجه يمكن مشاهدتها في جميع الجهات .

فوائد اخرى كثيرة ومختلفة يصعب الاشارة اليها كانت بسبب الاتفاقية التي ساعد فيلبي ببراعة في جعلها حقيقة قائمة . ان الدور الذي لعبه فيلبي في هذه الاتفاقية ساعد ويساعد بلده الذي اختاره وشعبه . لقد خدم فيلبي صديقه وسيده الملك عبدالعزيز ، والبلد الذي يحمل اسم عائلته ، والشركة ايضاً . فأمانته وصراحته وتوازنه جعلته قادراً على ان يكون وسيطاً بين الطرفين دون ان يشعر احد منهما بأنه يفضل احدهما على الآخر . حقاً ، لقد كان ادائه رائعاً .

لقد حصلت على متعة مقابلة فيلبي لأول مرة عام ١٩٣٧ في منزله بمدينة جدة . كان فيلبي جامعاً للذكاء والجاذبية الشخصية ولكن ولأسباب حقيقية خرجت من مقابلتنا الأولى ومن المقابلات اللاحقة معه بأحترام كبير لهذا الرجل وإنجازاته . فاستقامته وولائه المطلق للأهداف التي وضعها لنفسه في حياته تترك أثراً عميقاً . ان المملكة العربية السعودية افضل لكون فيلبي جزء

منها .

ف.أ. ديفز

رئيس مجلس الادارة السابق

شركة ارامكو

لافيات ، كاليفورنيا

مارس ١ ، ١٩٦١